Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونعود لما جرى مع أبي مدين في محنته هذه، لنرى كيف انتهت المحنة بوفاة أبي مدين الغوث.. يقول المقري في تاريخه «نفح الطيب»: إن يعقوب المنصور اهتم بأمر الشيخ، وأرسل في طلبه ليختبره، وأمر صاحب بجاية بأن يُحمل الشيخ إليه. كان أبو مدين آنذاك قد تقدَّم في السِّنِّ، والسفر يشق عليه، فسخط مريدوه وغضبوا من هذا الاستدعاء. فأسكتهم الشيخ وقال لهم: «إن منيتي قربت، ولغير هذا المكان قُدِّرت أن أموت، ولا بد لي منه، وأنا شيخ كبير ضعيف لا قدرة لي على الحركة، فبعث الله من يحملني إلى حيث أموت برفق، لكني لن أرى السلطان ولن يراني» فلما سمع المريدون منه ذلك، طابت نفوسهم، وارتحلوا به إلى السلطان على خير محمل..

وبينما هم في الطريق، ظهرت من بعيد رابطة صوفية تسمى «رابطة العُبَّاد» فقال أبو مدين لأصحابه: ما أصلح المكان للرقاد! ومرض مرضاً شديداً، وظل يردد «الله، الله» فكان آخر كلامه: الله الحق.. وحملوا جثمانه ليدفنوه في «العُبَّاد» مدفن الأولياء، ولم يَرَ السلطان[1].

* * *

ترك أبو مدين الغوث كتاباً واحداً هو «أُسّ التوحيد» بالإضافة إلى مجموعة من القصائد الصوفية التي جمع الدكتور: عبد الحليم محمود بعضها في كتابه اللطيف عن أبي مدين.. وأشهر تلك القصائد، هي تلك القصيدة التي شرحها حكيم الصوفية «ابن عطاء الله السكندري» وقام الشيخ الأكبر «ابن عربي» بتخميسها. تقول القصيدة: **[البسيط]**

ما لذةُ العَيْش إلا صُحْبَةُ الفقرا[2] هم السلاطين والسادات والأُمرا
فاصحبهُمُ وتأدَّبْ في مجالسهم وخَلِّ حظَّك مهما قدَّموك وَرَا

(١) قارن واقعة وفاة أبي مدين، بوقائع وفاة كل من: نجم الدين كبرى ـ الششتري!
(٢) الفقراء: الصوفية من أهل الطريق.